نظرية المعرفة

مقدمة معاصرة

إسماعيل، صلاح.
نظرية المعرفة: مقدمة معاصرة/ صلاح إسماعيل .- ط1.-
القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، 2020.
360 ص؛ 24 سم.
تدمك: 7 – 247 – 795 – 977 – 978
1- المعرفة.
أ - العنوان 121
رقم الإيداع: 17833 /2109

©

الدار المصرية اللبنانية
16 عبد الخالق ثروت القاهرة.
تليفون: 23910250 202 +
فاكس: 23909618 202 + - ص. ب 2022
E-mail:info@almasriah.com
www. almasriah.com

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة

الطبعة الأولى: 2020م

جميع الحقوق محفوظة للدار المصرية اللبنانية، ولا يجوز،
بأي صورة من الصور، التوصيل، المباشر أو غير المباشر، الكلي أو الجزئي، لأي مما ورد في هذا المصنف، أو نسخه، أو تصويره، أو ترجمته أو تحويره أو الاقتباس منه، أو تحويله رقميّا أو تخزينه أو استرجاعه أو إتاحته عبر شبكة الإنترنت، إلا بإذن كتابي مسبق من الدار.

صلاح إسماعيل
أستاذ بجامعة القاهرة

نظرية المعرفة

مقدمة معاصرة

الدار المصرية اللبنانية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ
شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ
لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾

[النحل: 78]

إهداء

إلى روح أبي

المحتويات

إهداء 7

مقدمة 13

الفصل الأول - تحليل المعرفة 23

1- تمهيد 23

2- معاني المعرفـة 24

3- مصادر المعرفة 27

4- أنواع المعرفـة 32

الفصل الثاني- التعريف الثلاثي للمعرفة 43

1- التصور الأفلاطوني للمعرفة 45

2- التعريف الثلاثي للمعرفة 48

3- مشكلة جيتير 50

4- حل مشـكلة جيتير 55

الفصل الثالث- الاعتقاد 67

1- أسئلة الاعتقاد 69

2- معنـى الاعتقاد 70

3- جدل حول الاعتقاد 73

4- نظريات الاعتقاد 76

4-1 النظريـة العقلية: الاعتقاد فعل عقلي 76

4-2 نظرية الاستعداد: الاعتقاد استعداد للسلوك 78
4-3 نزعة التمثيل: الاعتقاد تمثيل عقلي 82
4-4 النزعة الاستبعادية: لا توجد اعتقادات 84
5- أنواع الاعتقاد 85
6- درجات الاعتقاد 87
الفصل الرابع- الصدق 93
1- أسئلة الصدق 95
2- حوامل الصدق 99
3- نظريات الصدق: رؤية عامة 104
4- نظرية التناظر 104
4-1 نوعان من التناظر 108
4-2 اعتراضات على نظرية التناظر 114
5- نظرية الاتساق 117
5 -1 معنيان للاتساق 119
5 - 2 الحجج المؤيدة لنظرية الاتساق 120
5- 3 اعتراضات على نظرية الاتساق 124
6- النظرية البراجماتية في الصدق..... 127
الفصل الخامس- التسويغ (1) نظرية الأسس 139
1- التسويغ المعرفي: معناه ومبناه..... 141
2 - نظريات التسويغ 145
3- نظرية الأسس 146

3-1 التصور الأساسي للنظرية 146
3-2 حجة التراجع المعرفي 150
3- 3 تصنيف نظريات الأسس..... 154
3- 4 نظرية الأسس القوية 158
3- 5 نظرية الأسس المعتدلة 159
3- 6 نظرية الأسس الضعيفة 161
3- 7 نظرية الأسس بين التأييد والتفنيد 161
الفصل السادس- التسويغ (2) نظرية الاتساق والنظرية الخارجية 169
1- نظرية الاتساق 171
1- 1 التصور الأساسي للنظرية 171
1-2 أنواع نظريات الاتساق 174
2- النظرية الخارجية 175
2-1 التصور الأساسي للنظرية 175
2-2 النظرية الخارجية والمذهب الطبيعي 177
3- نزعة وسط بين الأسس والاتساق 179
4- إبستمولوجيا الفضيلة 180
5- تعقيب..... 182
الفصل السابع- التفسير والفهم 187
1- أهداف العلم. 189
2- معنى التفسير 192
3-أنواع التفسير 193

4- أسئلة التفسير العلمي 198
5- بنية التفسير العلمي..... 199
6- التفسيرات العلمية من حيث هي حجج منطقية 200
7- نموذج التفسير العلمي..... 203
الفصل الثامن- الإبستمولوجيا الطبيعية 211
1- تمهيد 213
2- النزعة العلميـة 215
3- الاتجاهات الأساسـية في الإبستمولوجيا الطبيعية 224
4- الإبستمولوجيا النظرية 228
5- حجة كواين على الإبسـتمولوجيا المتطبعة 234
6- اعتراضـات على حجة كواين، ورد كواين على نقاده 246
7- حجة جولدمان: الإبستمولوجيا الطبيعية ونزعة الثقة 251
8- دفاع عن الإبستمولوجيا الطبيعية 257
9- المذهب الطبيعي الإبستمولوجي المعتدل 261
الفصل التاسع- الإبستمولوجيا الاجتماعية 275
1- الإبسـتمولوجيا الاجتماعية: تحديد المفهوم 277
2- خلفية تاريخية 279
3- فروع الإبستمولوجيا الاجتماعية 288
4- الجماعة العلمية بوصفها فاعلا إبستمولوجيا اجتماعيا 292
5- نوعان من الإبسـتمولوجيا الاجتماعية 297
6- الصدق والواقعية 306
المراجع 317
المصطلاحات والأعلام 339

مقدمة

الحمد لله رب العالمين حمدا يليق بجلال قدره ويبلغني رضاه، والصلاة والسلام على خير خلقه محمد بن عبد الله، وبعد:

فنحن نعرف أشياء كثيرة عن أنفسنا والعالم والآخرين. والمعرفة حالة عقلية تضعنا في اتصال إدراكي مع موضوع معين. وهنا ندرك الملمح الأول للمعرفة:

(1) المعرفة علاقة بين طرفين: أحدهما الذات العارفة، والآخر موضوع المعرفة.

وعندما نقول إن المعرفة علاقة، يجب أن نؤكد أنها علاقة تقوم على التفكير وليس مجرد الإحساس أو الانفعال. وهنا يظهر الملمح الثاني:

(2) المعرفة علاقة إدراكية تدل على أن الذات العارفة تفكر في موضوع المعرفة ولا تحس به فقط.

وعندما تفكر الذات في موضوع ما، فهي إما أن تصدق به (الاعتقاد)، أو تنكره (رفض الاعتقاد)، أو تتوقف عن الحكم (الإمساك عن الاعتقاد). وعندما تصدق الذات بشيء، فإنها تعتقد به على اعتبار أن الاعتقاد تفكير مع تصديق. وعندما تفكر بتصديق، فهذا يعني أن هناك موضوعا للفكر تصدق به. واتفق الفلاسفة على تسمية هذا الموضوع باسم قضية. وهنا يتضح ملمحان آخران:

(3) المعرفة تتضمن الاعتقاد.

(4) موضوع المعرفة قضية صادقة.

المعرفة إذن اعتقاد، وليست رأيا أو ظنا. فكل معرفة اعتقاد، وليس كل اعتقاد معرفة، لأننا ربما نعتقد بأشياء كاذبة. وهذا يقتضي أن تكون المعرفة صادقة. وعبارة «المعرفة الكاذبة» هي عبارة متناقضة.

ولكن المعرفة ليست اعتقادا صادقا فحسب، لأن بعض الاعتقادات الصادقة يتم تأييدها عن طريق التخمين المحظوظ، ومن ثمّ لا تكون معرفة. فالمعرفة تتطلب امتلاك الأسباب الجيدة التي تسوغ الاعتقاد الصادق وتجعله معقولا ومقبولا وترفعه إلى مرتبة المعرفة. وهكذا نحصل على التصور الثلاثي للمعرفة:

(5) المعرفة اعتقاد صادق مسوغ.

وأنت ترى أن المعرفة في هذا التصور التقليدي أو المعياري لا بد من أن تستوفي ثلاثة شروط، ضرورية على انفراد وكافية بالاشتراك معا، هي الاعتقاد، والصدق، والتسويغ.

والإبستمولوجيا فرع فلسفي يدرس طبيعة المعرفة الإنسانية، وإمكانيتها، وأنواعها، ومصادرها، وحدودها، وقيمتها. وكلمة epistemology مشتقة من كلمتين يونانيتين هما episteme وتعني معرفة knowledge، و logos وتعني نظرية. والإبستمولوجيا هي نظرية المعرفة theory of knowledge وأنا لا أفرق بينهما. وترى بعض التقاليد الفلسفية أن الإبستمولوجيا هي نظرية المعرفة العلمية فقط. ولست أسيغ هذا الرأي، لأنه يضيق واسعا، فالمعرفة أنواع كثيرة ومقبولة.

وتسعى الإبستمولوجيا إلى الإجابة عن جملة من الأسئلة يقع في موضع الصدارة منها ما يلي:

1- ما المعرفة؟

2- هل المعرفة ممكنة؟

3- ما الذي يمكن أن نعرفه؟

4- كيف نحصل على المعرفة؟

5- كيف تكون اعتقاداتنا مسوغة أو مقبولة؟

6- ما قيمة المعرفة؟ وما الذي يجعلها حالة جيدة؟

يتعلق السؤال الأول بطبيعة المعرفة، والثاني بإمكانية المعرفة، والثالث بمجال المعرفة وحدودها، والرابع بمصادر المعرفة، والخامس بعقلانية المعرفة وقبولها، والسادس

بقيمة المعرفة. وتتفرع عن هذه الأسئلة أسئلة أخرى كثيرة نطرحها ونعالجها بعد حين. وموضوعات هذه الأسئلة هي المشكلات الكبرى في نظرية المعرفة.

وحقيق بي الآن أن أجيب عن سؤال لا إخال القارئ إلا سائله، وهو: هل ترتيب هذه الأسئلة يعتمد على أسبقية بعضها على بعض ؟ وجوابي أن الترتيب قائم على الترجيح وليس القطع، لأن هذه المسألة فيها نظر.

ربما تفكر في أننا لا نستطيع العمل في إمكانية المعرفة قبل اكتشاف ماهية المعرفة. ولكن إذا تبين أن المعرفة غير ممكنة، فإن تفكيرك ينطوي على خطأ. وإذا سلمت بأن بعض الناس أو كلهم لديهم معرفة، فإنك تعالج السؤال: «هل المعرفة ممكنة؟» بوصفه محسوما قبل طرح السؤال: «ما المعرفة؟». وليس من الواضح أي السؤالين يأتي أولا. وماذا عن السؤال «كيف نحصل على المعرفة؟»: هذا ليس سؤالا يجب أن ننتظر لكي نطرحه بعد الإجابة عن السؤال: «ما المعرفة؟». في العصر الحديث فقط تساءل الفلاسفة: «ما المعرفة؟» قبل طرح الأسئلة الميتافيزيقية بما في ذلك السؤال عن ماهية الكائنات البشرية وقدراتها. والطرق التي ندرك بها العالم هي جزء من الطبيعة البشرية. وإذا سلكت طريق الفلاسفة القدماء وفلاسفة العصور الوسطى وبدأت بالميتافيزيقا قبل ممارسة الإبستمولوجيا، فمن المتوقع بصورة عادية أن تعالج المعرفة بوصفها شيئا يظهر في دراسة الطبيعة البشرية. وما نسميه معرفة هو نتاج التفاعل الإدراكي مع العالم. وتبعا لهذا التناول من المعقول بحث كيف يتألف العالم ومكاننا فيه قبل التساؤل: «ما المعرفة؟». والجواب عن السؤال: «كيف نحصل على المعرفة؟» يأتي إذن قبل الإجابة عن السؤال: «ما المعرفة؟». ومرة أخرى ليس من الواضح أيهما يأتي أولا. وهذه نقطة مهمة لأن الإبستمولوجيا يمكن أن تظهر مختلفة تماما عندما نبدأ بأحد هذين السؤالين بدلا من الآخر. (Linda Zagzebski: 2009:2)

يناقش الفصل الأول معاني المعرفة، وأنواعها، ومصادرها. ويعالج الفصل الثاني التصور الأفلاطوني للمعرفة، ثم يعرض التعريف الثلاثي للمعرفة، ويوضح مشكلة جيتير التي تعترض سبيل هذا التعريف، ويبين موقف الفلاسفة منها وكيفية حلها.

ويحلل الفصل الثالث شرط الاعتقاد، ويبين معناه، وما يدور حوله من جدل. ويقف على مهل عند نظريات الاعتقاد وهي النظرية العقلية، ونظرية الاستعداد، ونزعة التمثيل، والنزعة الاستبعادية، ثم يوضح أنواع الاعتقاد، ودرجاته.

ويناقش الفصل الرابع شرط الصدق، وينظر في حواملـه، ونظرياته الأساسية مثل التناظر، والاتساق، والنظرية البراجماتية. وفي كل نظرية تجد شرحا لأفكارها، ومزاياها، وعيوبها.

ويعرض الفصل الخامس النظرية الأولى في التسويغ وهي نظرية الأسس أو نزعة الأسس. وتبعا لهذه النظرية فإن المعرفة والتسويغ يقومان على نوع ما من الأساس. ويتألف هذا الأساس من اعتقادات أساسية تكون مسوغة في ذاتها، ويرتكز عليها تسويغ جميع الاعتقادات الأخرى.

ويحلل الفصل السادس ثلاث نظريات أخرى في التسويغ هي الاتساق، والنظرية الخارجية، ونظرية وسط بين الأسس والاتساق. وتقرر نظرية الاتساق أن الاعتقاد يكون مسوغا إذا كان ينتمي إلى مجموعة متسقة من الاعتقادات. وينكر أصحاب نظرية الاتساق الحاجة إلى اعتقادات أساسية لأن جميع الاعتقادات يجوز تسويغها عن طريق علاقتها باعتقادات أخرى بواسطة التأييد المتبادل. أما صاحب النظرية الخارجية فيقول إننا لا نحتاج إلى اعتقادات أساسية ولا إلى اتساق لكي نحصل على المعرفة، وإنما نحتاج بالأحرى إلى النوع الصحيح من العلاقة الخارجية بين الاعتقادات والواقع للحصول على المعرفة. والرأي عند جولدمان أن العلاقة الملائمة هي علاقة سببية. أما أرمسترونج ودرتسكي فقد حاولا البرهنة على أنه العلاقة تنشأ من قانون ما في الطبيعة. والنظرية الرابعة هي نزعة بين الأساس والاتساق، وتقدمها سوزان هاك بوصفها بديلا عنهما. وتتفق نظريتها مع نزعة الاتساق على أنه لا توجد اعتقادات أساسية، وتتفق مع نزعة الأسس على أن التجربة يمكن أن تكون ملائمة للتسويغ التجريبي. وينتهي الفصل بإشارة يسيرة إلى تطور في البحث المعرفي يحظى بعناية هذه الأيام وهو إبستمولوجيا الفضيلة.

ويأتي الفصل السابع ليناقش مفهوم التفسير وعلاقته بالفهم. ويعرض أنواع التفسير، ويركز على التفسير العلمي، وبنيته، ونماذجه.

ويقف الفصل الثامن عند التحول الكبير الذي حدث في الإبستمولوجيا في سبعينيات القرن الماضي ولا يزال مؤثرا ومقلقا حتى الآن، ألا وهو التحول الطبيعي المعروف بالإبستمولوجيا الطبيعية. ويعود الاهتمام بالإبستمولوجيا الطبيعية إلى مقالة كواين «الإبستمولوجيا متطبعة» عام 1969. وفي هذه المقالة، حاول كواين البرهنة على تناول

جديـد لمعالجـة مشـكلات المعرفة، ووضـع حجة علـى تحويـل الإبسـتمولوجيا إلى فرع جديـد وذلـك بجعلها جزءا من العلم الطبيعي. والرأي عند كواين أن وجهة نظر ديكارت في الإبسـتمولوجيا بوصفها فلسفة أولى حكم عليها بالإخفاق، وذلك بسبب متابعتها من خارج العلم. إن الإبسـتمولوجيا، كما تمت ممارستها بصورة تقليدية، مشروع معياري. إنها تبحث عن المعايير التي يجوز استعمالها لتسويغ اعتقاداتنا وأحكامنا. ويتفق العقليون والتجريبيون التقليديـون علـى أن البحث عن هذه المعاييـر داخل العلم الطبيعي لن يكون مشـروعا، لأن هدف الإبسـتمولوجيا التقليدية هو تقديم أسـاس للعلم الطبيعـي. ولكن الطبيعيين يرفضون اسـتقلال الإبسـتمولوجيا. يقـول كواين: إننـي أنظر إلى الفلسـفة ليس بوصفها أساسـا أوليا للعلم، وإنما بوصفها متصلة بالعلم.

ويسعى هذا الفصل إلى تحقيق عدة أهداف. أولا، تحديد المفاهيم المختلفة التي تندرج تحت اسـم الإبسـتمولوجيا الطبيعيـة. ثانيا، توضيح الحجـج التي قدمها الإبسـتمولوجيون الطبيعيـون لتأييـد نظرياتهـم. ثالثا، مناقشـة الانتقـادات المهمة التـي وجهها الفلاسـفة إلى الإبسـتمولوجيا الطبيعيـة. رابعا، بيان موقفنا من الإبسـتمولوجيا الطبيعيـة، من خلال دفاعنا عـن «المذهب الطبيعي المعتدل». ومادامت الإبسـتمولوجيا الطبيعية تعادل النزعة العلمية، فإن هذا الفصل يجيب عن سـؤال يتعلق بشـرعية هذه النزعة، ويظهـر موقفي منها عن طريق تأييدي لنزعة علمية معتدلة.

ثم يأتي الفصل التاسـع والأخير ليعرض فرعا إبستمولوجيا جديدا، ظهر بصورة واضحة بوصفه مبحثا فلسـفيا واضح المعالم والمشـكلات والاتجاهات فـي العقدين الأخيرين من القرن العشـرين، ألا وهو الإبسـتمولوجيا الاجتماعيـة. والإبسـتمولوجيا الاجتماعية بحث فلسـفي معياري في المعرفة بوصفها إنجازا جماعيا. ويحدد الفصل مفهومها، ومشـكلاتها، وكيفية ظهورها، وفروعها أيضا. ويقف بتفصيل عند الخلاف بين نوعين منها: الإبستمولوجيا الاجتماعيـة التحليليـة كمـا ينـادي بهـا ألفيـن جولدمان ومن سـلك سـبيله وركـب طريقه، والإبستمولوجيا الاجتماعية النقدية كما يدافع عنها ستيف فولر ومن تحرى في طريقته وقام على سكيكته.

ولازلـت أعلـل النفـس بالآمـال أن ينهـض جيـل جديد مـن شـباب الباحثين فـي العالم العربـي، ويتصدى للقضايا والاتجاهات المعاصرة في الإبسـتمولوجيا، مثل الإبسـتمولوجيا

الاجتماعية، وإبستمولوجيا الخبرة الدينية أو إبستمولوجيا الدين، والإبستمولوجيا الأخلاقية، وإبستمولوجيا الفضيلة، والإبستمولوجيا والذكاء الاصطناعي، والإبستمولوجيا التطبيقية، بالإضافة إلى الإبستمولوجيا العلمية. وأقول لهؤلاء الشباب مع الحارث بن عباد:

قَرِّبا مَربَطَ النَعامَةِ مِنّي شابَ رَأسي وَأَنكَرَتني القَوالي

وسوف تلاحظ أنني في مناقشة النظريات والآراء الواردة في هذا الكتاب، أعرض عليك أفكارها المحورية، وألتمس هذه الأفكار في كتابات الفلاسفة الذين ينادون بها، وأقدم لك أيضا الحجج التي تؤيدها، والانتقادات التي توجه إليها، وأبين لك موقفي منها. وهذا التناول التحليلي النقدي لموضوعات الفلسفة يسري في الكتاب سريان الزيت في الزيتونة. وهو ملمح جوهري من ملامح الفلسفة الحقة. ذلك بأن أخص ما تمتاز به الفلسفة هو أنها تعالج موضوعاتها بعناية تحليلية فائقة وحذر فكري شديد. كما تكشف هذه المعالجة عن تعمق واستقصاء وإطالة النظر بروية في الأفكار. وتتوج كل هذه بسمة نقدية لا تخطئها العين في أي عمل فلسفي، بحيث تستطيع أن تقول إن ممارسة الفلسفة تعني ممارسة النقد.

وأنت ترى أن الأسئلة التي سنعالجها تسير في ركاب ما يعرف بالأسئلة الكبرى. والأسئلة الكبرى التقليدية هي: من أنا؟ ومن الذي خلقني؟ وما هذا العالم الذي أعيش فيه؟ أما أسئلة كتابنا فهي: ما المعرفة؟ وما العلم؟ وما الاعتقاد؟ وما الصدق؟ وما التسويغ؟ وما الفهم؟ وما التفسير؟ وما العقلانية؟ ونحو ذلك. ويجد الفلاسفة في الوصول إلى إجابات مقنعة عنها، وربما يحققون شيئا من التقدم في بعض المجالات، وربما يعودون إلى سيرتهم الأولى في مجالات أخرى. الأمر الذي دفع شاعرا كبيرا مثل محمد مهدي الجواهري إلى أن يقول في رائعته «ناجيتُ قَبْرَكِ»:

أَعْيَا الفلاسفةَ الأحرارَ جَهْلُهمُ ماذا يُخَبِّي لهم في دَفَّتَيْهِ غَدُ
طالَ التَّمَحُّلُ واعتاصتْ حُلولُهمُ ولا تَزالُ على ما كانتِ العُقَدُ

وإذا خرج القارئ من قراءة هذا الكتاب وقد تشرب هذه الروح النقدية العقلانية في التفكير، فقد حقق الكتاب رجائي فيه. ولا يفوتني أن أشكر أخواتي وإخواني من الباحثين والقراء على حسن تقبلهم لكتاباتي، وأتمنى أن يجدوا فيها شيئا من النفع. وأشكر أيضًا الأستاذ محمد

رشـاد رئيس مجلس إدارة الدار المصرية اللبنانية ورئيس اتحاد الناشرين العرب، والعاملين في الـدار على حسـن رعايتهم لكتابي. وأسـأل الله العظيم أن يتقبل عملـي خالصا لوجهه الكريم، وأن يجعله في ميزان حسناتي، وهو سبحانه حسبي ونعم الوكيل.

مدينة 6 أكتوبر

في 27 ذو القعدة 1440 هـ/ 30 يوليو 2019 م

صلاح إسماعيل